

## الهوية و الاستنارة في الفكر العربي المعاصر فتحي المسكيني نموذجاً

د. روضة مبادرة \*

## الملخص

يتعلق السؤال الذي يوجّه الدراسة بمفهوم الهوية في معناها المعاصر و الصلة التي تربطها بالاستنارة و ذلك من خلال نموذج عن مفكر عربي معاصر الفيلسوف التونسي فتحي المسكيني، يهدف المقال إلى تحليل الصعوبات التي تعترض مهمة الكشف عن الهوية الحقيقية بما هي ذلك الوجود الفعلي المتحرر من كلّ أصنام الهوية التقليدية ليقدمها المفكر العربي المسكيني في شكل هوي جديد نابع من مصادر أنفسنا كحرية و اختيار تقوم به الذات في انفصال تام عن كلّ ما يربطها من المقومات المعهودة كما تصوّرها القدماء و المحدثين سواء غرب أم عرب. وبالتالي يأخذ سؤال "من نحن" حيزاً إشكالياً آخر يذهب به الفيلسوف إلى ما أعمق من أن يكون مجرد انتماء لخصوصية ما بل ليكون الانتماء للذات و منه إلى الإنسانية و الحرية و تلك هي مهمة الاستنارة الحقيقية التي تقوم بها الفلسفة .

**الكلمات المفتاحية :** الهوية، الفكر العربي المعاصر، الحرية، فتحي المسكيني، الإستنارة .

## Abstract

The article aims to analyze the difficulties encountered in the task of revealing the true identity, including the actual existence liberated from all the idols of traditional identity, to be presented by the poor Arab thinker in the form of a new identity stemming from the sources of ourselves as freedom and choice that the self makes in complete separation from all that binds it to the ingredients The familiar as the ancients and moderns imagined it, whether Western or Arab. Thus, the question "Who are we" takes another problematic space in which the philosopher goes deeper than just belonging to a particularity, but rather to belong to the self and from it to humanity and freedom, and that is the task of real enlightenment that philosophy undertakes.

**Keywords:** identity, contemporary Arab thought, freedom, Fathi al-Maskini, enlightenment

## تقديم

بقي الفكر العربي طيلة عقود أسير منحى تفكري وذلك يعود إلى تناسيه أنه لا زال يفكر بأدوات ونظريات ومعتقدات فكرية غربية فالرموز الغربية الحداثوية لا تزال تهيمن و تتحكم في هذا الفكر حتى يعتقد أنه يسير نحو التنوير ، وهو الذي لا يريد إنقاذ نفسه من ظلمة الماضي و ينصهر في عتمة الحداثة الغربية من جهة أخرى ، لأنّ كلّ ما يؤمن به ليس من بنات أفكاره أو إنتاج عقله فهو لا يستطيع تخطي ذلك الأفق الفوكوي ليبقى متسوّلًا يقات ما يثمره الآخر الثقافي الغربي .

لكنّ التفكير بأنفسنا هو التنوير ذاته وهو الجسر أو الفضاء الذي عبره نرتقي إلى مرتبة التفكير العقلي المحض بهدف رسم أفق نظام عقلي خاص بنا ك"نحن" العرب أفق قادر على صناعة الذات و تشكيلها دون اقتباسات و دون سندات غيريّة تدمر هويّة الذات و تطمسها تحت ما يسمّى عولمة الفكر أو كليته . ليخلصنا هذا الإبداع للذات من مشاعر سلبية مثل الاستبداد و العبوديّة و الدونية أمام الآخر الغربي.

ومن هنا تكون ديباجة الارتقاء بالذات أو "النحن" من مقاربة و استشكال مسألة الهوية رغم تعقيداتها وخطورتها من جهة و حتميّة البحث عن أنفسنا في التاريخ من جهة أخرى .

إنّ العسر في معالجة المسألة هنا يزداد عسرا خاصة أنّنا لم نعتقد من أصوليّة فضاء معرفي ثقافي بعينه ، فضاء الآخر الذي لازلنا نقرأ نصوصه و نقدّسها لكنّ ما هو تراجمي هنا هو أنّنا نتناسى أو ربّما لا نعتبر ما لدينا من رموز معرفيّة و فكريّة ، لكن لو تمرّدنا و لو مرّة واحدة على ما هو سائد فلن نندم خاصة إذا كان المراد التحرّر من القراءات التي تكبلنا وسوف نعي تمام الوعي أنّ في جعبتنا ما يجعلنا نكفّ عن تقديس الآخر خصوصا إذا ما عدنا إلى أنفسنا من خلال ثلة من المدونات و النصوص التي تغنينا عن قراءة الآخر مثل نصوص الجابري و ادوارد سعيد و بدوي و فتحي المسكيني... وغيرهم من المفكرين العرب الذين أضافوا للحضارة و الذين لم يتكرو أو ينكرو هذه "النحن" حتّى في قمة انحطاطها و ذوبانها في إطار كونيّة مزعومة .

ومنه يكون السؤال عن الهوية أثقل الأسئلة و أكثرها أهمية مع هذه الثلة من المفكرين و الفلاسفة العرب و نخص بالذكر هنا الفيلسوف التونسي المعاصر فتحي المسكيني الذي لا تخلو أغلب كتاباته من حسّ انتمائي للثقافة و الحضارة سواء ناقد أم مداح تأكيدا على المراهنة على مدى قوة ال " نحن " الفكرية و الثقافية ، فقد أحدثت مسألة الذات - الهوية حيّزا تفكريا عميقا في نقاشات الفيلسوف نتيجة استئناس أسئلته الفلسفية و المعرفية بأسئلة من قبيل : ما الذات ؟ ما الإنسان ؟ من نحن ؟

أن نفكر هو أن نحدّد هوية شيء ما هكذا تحدث ادورنو ذات يوم وهو الدرب الذي ينبغي أن يتبناه كلّ فكر يسعى إلى تحديد الهوية بمدى استنارته من جهة و مدى قدرته على قول أنا من جهة أخرى . وربما العودة إلى المسار الفلسفي الذي وضعنا فيه الدكتور المسكيني في طرحه لإشكالية الهوية هو الذي حفّز إعادة مراجعة الدراسات التي طالما كانت مخترنة في المنظومة الثقافية الخاصة بال "نحن" كنمط وجود يستتبط وجوده من الآخر الذي لم ينعنق منه بعد .

إنّ الفلسفة التي أهتم بها المسكيني هي فلسفة الهوية و الذات ليجتثّ منها تصوّرات جديدة تخلص الهوية من طابعها السردى و التاريخي الذي طالما سجنّت فيه حتى ما بعد الحداثة .

وعليه يمكن الحديث عن هوية من نوع آخر ليست هي الهوية الكلاسيكية وهو ضرب من المجاوزة لبراديغمات الهوية خصوصا منها الهويات المحافظة و الهوية الأنطولوجية و الهوية الاجتماعية ، السياسية و الثقافية . إنّ هذا الضرب من الهوية لم يطرحه الإغريق ذات عصر و لكنّه مفهوم وطرحه اقترن بما بعد الحداثة و كانت الحداثة نقطة عبور من الهوية كسردية قامعة لمفهوم الفرد كهوية فردية قد حرّرتها الحداثة من سلطة الكليات لأنّ المراهنة المعاصرة أضحت موجّهة نحو الفرد و الهوية الشخصية المقترنة بحركة تحرّر من كلّ براديغمات الهوى ، لكنّ الأسئلة التي سوف تطرح أو قد طرحت اليوم هي التالية :

إلى أيّ مدى يمكن لهذه السردية الهويّة أن تبقى طاغية قامعة للهوية المعاصرة أو بعبارة أخرى للهوية التي يرومها إنسان العصر ؟ و من ثمّ كيف يمكن تحديد الهوية التي تشكّل هذه الذات و التي تعبّر دوما عن ال "نحن" الذي يوجد بداخلنا؟ ومن هذه الإحراجات نجد أنفسنا في صلب السؤال التالي :

هل توجد فلسفة عربيّة معاصرة ؟

هكذا استهل الدكتور المسكيني مؤلفه الهويّة و الزمان والسؤال هنا يعاين مشكلا راهنا و هو في ذاته ضربا من التفكير في الهويّة لكنّ من يحقّ له أن يسأل هكذا سؤال ؟ المفكّر الكوني أم المفكّر العربي الصاعد ؟

إنّ مايبرر فتح أفق تفكير هويّ جديد يخطو خطى طرح جديد مغاير عن الطرح الغربي دون التّصلّ منه تماما هو الدرب الذي سار فيه الدكتور فتحي المسكيني يقول الفيلسوف : "ولذلك اعتبرت العمل على هيدغر في أطروحة الدكتوراه، اختيارا موقّعا، ليس فقط لأسباب أكاديمية، بل خاصة لأسباب شخصية: التدرّب من الداخل على التفكير المعاصر ولكن باللغة العربية. وهو ما جعل مشاكل الانتماء والهوية والقومية والدين مشاكل مطروحة من داخل المدونة الفلسفية العريقة وليس مجرد نقاش هويّ أو دعوي لا صلاحية كونية له ."<sup>45</sup>

حين يتعقب القارئ كتابات و لحظات التفلسف لدى الدكتور المسكيني سوف يلاحظ أنّه قد أولى مسألة الهويّة منزلة أسمى و كتاباته شاهدة على هذا الاهتمام فقد قارب المسألة مقاربات جديدة بالتشهير و البحث في مفهوم الفيلسوف عن هذا المفهوم .

إنّ أنبل درس تعلمه كتابات المسكيني الفلسفية هو أنّ الفلسفة هي فنّ البحث عن الهوية هوية صانعة للكيان قبل أن تكون مقولة فلسفية تصارعت من أجلها الأنثروبولوجيات و الفلسفات المعاصرة ، إذ

يفكّر الفيلسوف في الهويّة و يكتب من أجلها و عنها يبحث لكنّ أنبل هويّة تستهوي المفكّر الصاعد هي هويّته الفلسفيّة أو هو اعتراف بأنّ الذات الفلسفيّة لا تتقلّ كاهلها بذوات فلسفيّة أخرى سابقة أم لاحقة كانت و إنّما " نحن نقترح أن نمشي قليلا إلى أنفسنا و مشاكلنا و لكنّ دون أن يكونوا نحن " <sup>46</sup> ربّما هو ضرب من الهويّة الفكرية أم هويّة فلسفيّة تريد أن تحي في عصر

<sup>45</sup> تور الدين علوش ، الفيلسوف التونسي فتحي المسكيني أنا جزء من الجامعة التونسية، ديوان العرب، لاثنين ١٤ أيار (مايو) ٢٠١٢ تاريخ الولوج 11 أبريل 2013 نسخة محفوظة 05 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.

<sup>46</sup> فتحي المسكيني ، الهويّة و الحرية نحو أنوار جديدة ، جداول للنشر ، الطبعة الأولى بيروت لبنان ، فبراير 2011، ص 11

طغت فيه كثرة الهويّات حتّى إدعاء الهوية صار ضرب من الهويّة لذلك صار من الضروري السير " نحو نقد حيوي للعقل الهوي" <sup>47</sup>

إنّ فرادة الفيلسوف تكمن في اعترافه بهويّة ليست هويّته و في فكر ليس بفكره لكنّه لا يتبرأ منه و هو ما هو مطلوب من المفكّر حين يقرّ بأنّ " فرادتنا ليست إدعاء عرقيا أو روحيا ، بل هي معطى كوني يجعلنا في صلة سابقة مع كلّ من فكّر قبلنا ، ولكنّ دون أن يكون تفكيره ذلك مانعا لوجودنا أو سببا للاستغناء عنّا ، إنّ مجرّد وجودنا هو انتماء جذري إلى بنية الكون و من ثمّ إلى تفكير و آلام كلّ بشري سابق أو لاحق علينا" <sup>48</sup>

هنا يظهر نبل الفيلسوف المسكيني بضرب من الأخلاقيّة من ناحية تعاطيه مع الفلسفة و الفلاسفة أو ربّما في وفائه لمصاحبة الفلاسفة في حياتهم الفلسفيّة أم النقدية (كانط) أم الفينومينولوجيّة ( هيجل ) الوجوديّة ( هايدغر ) أم الجينيالوجيّة ( نيتشه ) أم الأركيولوجيّة ( فوكو ) أو ربّما التفكيكيّة ( دريدا ) .

" وحده العقل الحرّ بإمكانه التفلسف "

الهويّة و الحرّيّة نحو أنوار جديدة

" و فجأة وجدنا أنفسنا أمام مشكل قديم جديد ، لكنه عاد لي طرح نفسه بشكل أكثر حدّة : من نحن اليوم ، أيّها المنتمون إلى الإنسانية تحت عنوان الحداثة ؟ "

الكوجيتو المجروح (توطئة)

مقدمة تعريفية بالكاتب

فتحي المسكيني : فيلسوف و مفكر عربي معاصر أصيل الشمال الغربي التونسي ، في العقد السادس من العمر ، أستاذ محاضر في جامعة تونس المنار و قد درّس سابقا في جامعة صفاقس متحصل على دكتوراه الدولة في الفلسفة الحديثة و المعاصرة متمكن من عدة لغات أجنبية له دراية

<sup>47</sup> المصدر نفسه ، ص 10 .

<sup>48</sup> المصدر نفسه ، ص 11 .

خاصة باللغة الألمانية، وقد كان فتحي المسكيني و لا زال شاعرا، و هو ما يبرر تأثره بهيدغر و نيتشه و جبران . و

ففي أحد الحوارات صرّح بسبب إعجابه و اهتمامه بالمفكرين الألمان "كنت أشعر دوماً أنّ بين العرب والألمان أواصر قرابة مثيرة وغامضة. كلّ منهما له لغة صعبة وذات أصالة خاصة. وله مجد ضائع. ودين خطير قادر على ترجمة مضامينه الدلالية إلى آداب مدنية صارمة وكونية. وله حسّ انتماء عميق جدّا ولا يقبل التفاوض أو الانصهار في أيّ قومية أخرى. لكنّ القومية العميقة في لغة الألمان لم تمنعهم من تطوير أخطر وأعظم القيم الكونية في تاريخ العقل الفلسفي. وهذا ما دفعني على اعتبار تقليد الفلسفة الألمانية من كانط إلى سلوتردايك هو ببساطة مجال التجريب المناسب لتفكيري الخاص"<sup>49</sup>

و قد كان مفكرنا فيلسوفا و أدبيا و شاعرا من اهم قصائده :قصائد إلى الياسمين المحرّم وكانت زوجته أم الزين بن شيخة المسكيني تخطو بخطاه شاعرة وروائية و فيلسوفة وقد ألفا معا كتاب الثورات العربية ، سيرة غير ذاتية سنة 2013 .

من إنتاجه العلمي نذكر :

فلسفة النوايت ، 1997

هيغل ونهاية الميتافيزيقا ، 1997.

الهوية والزمان، تأويلات فينومينولوجية لمسألة النحن، 2001

من أعماله نقد العقل التأويلي، أو فلسفة الإله الأخير، 2005.

الفيلسوف والإمبراطورية، في تنوير الإنسان الأخير، الناشر: المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 2005

التفكير بعد هيدغر، أو كيف الخروج من العصر التأويلي للعقل؟، 2011

<sup>49</sup>تور الدين علوش، الفيلسوف التونسي فتحي المسكيني أنا جزء من الجامعة التونسية، لاثنين ١٤ أيار (مايو) ٢٠١٢ ديوان العرب، تاريخ الولوج 11 أبريل 2013 نسخة محفوظة 05 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.

الهوية والحرية، نحو أنوار جديدة، 2011

الكوجيطو المجروح: أسئلة الهوية في الفلسفة المعاصرة، 2013

الثورات العربية..سيرة غير ذاتية، 2013

الهجرة إلى الإنسانية: 2016

الإيمان الحر أو ما بعد الملة- مباحث في فلسفة الدين، الناشر: مؤمنون بلا حدود للدراسات

والأبحاث، 2018

ومن ترجماته :

[في جنيلوجيا الأخلاق](#) ، نيتشه، المركز الوطني للترجمة بتونس، 2010

الكينونة والزمان، هيدغر 2012

الدين في حدود مجرد العقل، كانط، 2012

المثالية الألمانية 3 مجلدات، "ضمن مجموعة"، 2012

إلى جانب عديد المقالات و القصائد و الخواطر المنشورة في صحف و مجلات دولية و مواقع إلكترونية.

الهوية و الاستنارة الحقيقية

من هوية بلا ذات إلى التفكير بالذات

إنّ الخطة التي يريد الفيلسوف المراهنة عليها هي الاستنارة من جهة البحث عن الهوية الحقيقية المفقودة أي بما هي فصل الهوية عن كلّ ما يزيح عنها أصالتها و طرافتها و في فصلها عن الذات إجرام في حقها ففي نظر المسكيني لم يفعل الفلاسفة و خاصة منهم المعاصرين سوى التأسيس لهوية فاقدة لكيانها و جوهرها و ما يجعل منها هوية حقيقية ، ألا وهي الذات ربّما قد يكون عجز المعاصرين في نظر الدكتور المسكيني ناتج عن الخلط الكامن وراء المفارقة الشهيرة : " ذات بلا هوية " و هو حلم الحدائين و " هوية بلا ذات " و هو ما قام به المعاصرون وقد كتب في هذا السياق :

نحن نفترض أنّ الفلسفة المعاصرة من هيغل إلى ريكور قد فشلت في الإيفاء بهذا الوعد. إنّها لم تفعل غير الاستعاضة عن تأسيس الذات بإرساء أكثر ما يمكن من قصص الهوية ! . لقد صارت الفلسفة تعمل "في غير أوقاتها" كصلاة مهملة لم تجد شريعتها الخاصة فتحوّلت إلى سرد بلا توقيع. وهكذا، بدلا من تحقيق وعد الحداثة بتأسيس "ذات بلا هوية"، مهما كانت طبيعتها، عرقية أو دينية أو سياسية، ها هو الفيلسوف المعاصر قد حوّل الفلسفة، ودون أيّ اعتذار يُذكر، إلى متواليّة من قصص "الهوية" ولكن "بلا ذات". إنّ أحلام الدولة القومية الحديثة قد اخترقته بلا نهاية. وانقلب المفهوم عنده "هوية بلا ذات"، نعني إلى قصة عن نفسه، لا يكفّ عن حبكها بحثا عن أصالة يضطرّ لاختراعها في كل مرة كوثنٍ خاص وليس أكثر.<sup>50</sup>

قد نلاحظ هنا أنّ تشبث المفكر بفلسفات المعاصرين كان واضحا و أكثر من تعاطيه مع ما فكّر فيه المحدثين لأنّ حيوية تفكيره و أسلوبه المتجدد دائما يراعي النماذج الراهنة و المعاصرة و ربما السبب في نظره ليس متعلق بمسألة الصلاحية الفلسفية لفلسفة ما أو بفناء موضة فلسفية ما لأنّ تفكيره في بعض الأحيان يسترجع فكر القدامى و المحدثين و ليس السبب تفضيلا و تمييزا بين الفلاسفة بل حتى يبتكر لنفسه نموذج فلسفي خاص تكون فيه الذات مالكة لذاتها فلسفيا و قيميا و هو اختيار يتحصن به من شتى ضروب الإدعاءات الهوية الفلسفية "ضمن هذا الأفق الهوي الخفي للفلسفة الغربية المعاصرة نحن نأتي إلى أنفسنا الحالية، كي نحاول، مرة أخرى، ترتيب علاقتنا بذواتنا".<sup>51</sup>

فالمشكل قد صار سؤال مفاهيمي مزدوج المراد منه فك المفارقة المحيرة لكلا العقلين : العقل الحديث و العقل المعاصر ، إذ" يبدو أنّ رهان الحداثة الخفي هو: إلى أيّ حدّ يمكن للفيلسوف أن يفكّر في الذات بلا هوية ؟ وعلى ذلك فإنّ الأوان قد آن أيضا لأن نسأل: إلى أيّ مدى استطاعت الفلسفة المعاصرة، في سعيها الدائب إلى التحرّر من براديجم الوعي، أن تتحرّر من صناعة الهوية الحديثة ؟ ومن ثمّ أن تقترح علينا ذاتا بلا رواسب هوية لا شفاء منها؟<sup>52</sup>

<sup>50</sup>فشل الحوار بين الهويات..أو هل نحن هوية بلا ذات ؟ مقدمة كتاب "الهوية والحرية"، بيروت: دار جداول للنشر و

التوزيع، 2011

<sup>51</sup>المرجع نفسه

<sup>52</sup>المرجع نفسه



إنَّ الفارق الذي يفصل بين الهوية و الذات هو أنَّ الهوية هي ما نحن دون أيّ جهد وجودي خاص في حين أنَّ الذات هي ما نستطيع أن نكون ولكن لم نجرؤ بعدُ على الاضطلاع به كأفق حرّ ووحيد لأنفسنا<sup>53</sup>. و هو إعلان صريح من المفكر بوهمية التلازم الساذج بين الهوية و الذات لأنَّ " ميتافيزيقا الذات إنّما تقوم على تنزيل نموذج الأنا أفكر منزلة القطب المتعالي الذي يجعل كلَّ ما عداه مجرد "موضوع" للسيادة و الهيمنة"<sup>54</sup> و بالتالي أهمية الحذر في التعامل الفلسفي مع كلا المفهومين للاضطلاع بضرب من الكينونة الحقيقية التي يستطيع من يكونها أن يكون و في هذه اللحظة نستطيع أن نحدد مفهوم المسلم الأخير.

### الهوية هي أن نكون

إن الهوية ليست ما نحن و ليست ماذا كنا أو ماذا نكون بل هي أن نكون لا غير ذلك ومن هنا كان فيلسوف الهوية يطرح مفهومه للهوية كأفق فيه نكون تلك الكينونة التي لا تكون لأحد وفي الآن ذاته كأفق فيه نوجد ذلك الوجود الخاص لا يمكن لأحد أن يتشابه معنا فيه " فأن نكون ليس معناه أن نتفاهم و نتصالح مع الآخر بل المعنى المقصود هنا هو أن نكون غير الآخر بمعنى التحرر من هيمنة الآخر سواء كان سردية عنيفة أم عولمة أم نزعة تمركز و بالتالي الإنعتاق من سردية العلاقة المعية أو حتى الإمية أو بالأحرى الصلة الهويوية التي تربط المجتمعات اليوم و هي ضروب من التحرر كشف عنها المسكيني و فككها من خلال سؤال "من؟" و "من أنا؟"، "من نحن؟"، "مالذات؟"، "ما الهوية؟"، "ما الحرية؟"

يذهب الفيلسوف إلى أنَّ الرابط اللغوي و المضموني الذي يصل الهوية بسؤال "من؟" هو رابط بلاغي زائف يوهمنا بأننا بالسؤال نبحث عن الهوية ويجعلنا نتغافل عن حقيقة أنَّ الهوية هي مفهوم فلسفي بإمتياز متّصلا وصلا مباشرا بسؤال "ما هو؟" دون سؤال "من؟" لأنّه عندما نبحث عن هوية الشيء نقول: "ما هو؟" ونجيب ب "إنّه هو"؛ و كأننا نبحث عن خصائصه التي تجعل منه ما به يكون هو و ليس هو شيئا آخر.

<sup>53</sup> نفس المصدر

<sup>54</sup> فتحي المسكيني، الهوية و الزمان: تأويلات فينومينولوجية لمسألة "النحن"، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى، 2001، ص13.

إنّ الاعتقاد الذي لا يفكر و إنّما يظنّ أن الهوية شيء نتبناه ندافع عنه نحمله هو اعتقاد سائد بآد وزائف ،ذلك أنّ ما تكون عليه هويتنا ليس سوى ضرب من " أنا أكون " و " الأنا حين تكون "فهي لا تحتاج أن ندافع عنها، لأنّ ما به يكون الأنا أنا ليس شيئاً يستطيع أن يثبتته بالدفاع أو الحماية بل بالفعل أي فعل الكينونة ما به تكون الأنا مثال : " أنا مسلم " أو " نحن مسلمون " لا غير.و بالتالي فإنّ السؤال "من " لا يستوفي شروط الهوية الحقيقيةالتالي فإن مفهوم الهوية أضحي يعاني من فائض بلاغي خطير قد يعجز عن طريقه الفكر عن التمييز أو عن أي معنى يمكن تبنيه للهوية إلا إذا كان ذلك الفكر مستتباً يفكر في الهوية تفكيراً يلغي عنها كلّ مغالطة بلاغية و إدعاء هويي سائد .

ذلك أنّ المفهوم الحقيقي و الملائم لوضع الهوية المنشود هو تحررها من كل قيود الحضارة و الثقافة و التاريخ إذ " لم يعد الدين و لا القبيلة و لا العرق أسباباً كافية للانتماء ، فطق الفرد الحديث يبحث لنفسه عن عنوان جديد لكيانه <sup>55</sup> .

### الهوية حرية واختيار

الهوية اختيار لا وراثة هذه النتيجة التي يمكن تحصيلها أثناء تفحصنا لكتابات فتحي المسكيني خاصة إذا ما عدنا إلى الكتابات الأخيرة فما هو جدير بالذكر هنا هو أنّ الأستاذ المسكيني قد وجه سهام قلمه اللاذع نحو الهوية التي صنعتها الدولة القومية الحديثة، و هو بذلك يعبر عن انخراطه في منعرج عميق لا يخشى صاحبه من التساؤل والبحث عن تلك الذات المتجردة من الرواسب الهوية الموروثة و هو بذلك يقترح أو ربّما يكشف عن حقيقة من الحقائق المنكثرة للهوية إذ يقترح في مؤلفه الأكثر الماما بمسألة الهوية «الكوجيطو المبروح.. أسئلة الهوية في الفلسفة المعاصرة» أن هذه الأخيرة ( الهوية ) «اختراع ثقافي خطير، طورته كل الثقافات وبخاصة تلك التي لم تعد تمتلك كنزاً خلفياً أو مخزوناً احتياطياً لنفسها غير حراسة الانتماء بواسطة الذاكرة الممنوعة من التفكير».

<sup>55</sup>فتحي المسكيني ، الفيلسوف والإمبراطورية، في تنوير الإنسان الأخير، الناشر: المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 2005، ص 7.

ولذلك ينادي ويدعو دائما إلى أن تكون (الحرية أولا) كأسمى قيمة من حيث المطلوب و من حيث الضرورة : ضرورة " أن نكون " و أحرار في الوقت ذاته "حرية الذات، وحققها الحيوي الكوني في الانتماء الجذري للنوع الإنساني، بعيدا عن أسئلة الهوية المسبقة التي تلاحقها وتكبلها، وتشكلها كما تشاء" .

هجا الفيلسوف هجاء عنيفا للهوية التي صنعتها الدولة الحديثة محاولا تخليص الهوية من تحديدها الدغمائي الكلاسيكي المقتصر على (بطاقات التعريف أو الهوية، والبصمة، النسب الأصل اللغة والدين والانتماء العرقي ) .

ما تجدر الإشارة إليه هنا هو أنّ مهمة الفيلسوف تكمن في تدريب الجنس البشري على أن يكونوا بشر و من ثم على أن يحملو هوية إنسانية حقا، هوية كونية أو قادرة أو ربّما جديرة بالكونية. " فوجودنا الراهن هو عيش معا حرّ بالرغم من كل مزاعم الدول اليومية التي لم تزل بعد . لنقل أنه عيش امبراطوري ، في معنى أنّه ينتج سيادة مستمرّة و مفتوحة على حدوده . إنّهُ منخرط نشط في شبكة العالم بوصفه ساحة رقمية نحن مكلفون بالانتماء إليها متى أردنا مواصلة الانتماء إلى الإنسانية الحالية .<sup>56</sup>

لكن " أيّ أدب صغير ( أية أخلاق) و أيّ أدب كبير (أية سياسة ) بإمكانهما أن يوفرا لنا الإطار المناسب لتطوير تقنيات تدوّت وتداولت حرة و أصيلة ، كونية و متفرّدة في آن ؟<sup>57</sup>

ومن هنا وجب عليهم أن يطمحو إلى مساعي أسمى من كونهم كائنات بشرية ليلبغو مرحلة الإنسانية كنمط وجود سوي منعتق من كل ترسب هووي قادر أن يحطم المفهوم الحقيقي للإنسان و بالتالي للهوية و من هذا الوعي تكون عملية تدريب الدولة القومية على إعادة الحقوق لأصحابها أي حقوق في الهوية و كأننا هنا ايزاء حقوق اغتصبت و آن الأوان لاسترجاعها أو ربّما هو ضرب من الوجود الجديد يطالب بحقوق جديدة و مستحدثة لأنّه من غير الممكن على الدولة التي تدّعي المحافظة على ممتلكات و حقوق مواطنيها أن تقوم هي الأخرى باحتكارها و إنكارها .

<sup>56</sup> فتحي المسكيني ، الفيلسوف والإمبراطورية، في تنوير الإنسان الأخير، الناشر: المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 2005، ص 8 .

<sup>57</sup> فتحي المسكيني ، الكوجيطو المجروح.. أسئلة الهوية في الفلسفة المعاصرة ، الرباط . المغرب، منشورات ضفاف . منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى 2013. التوطنة، ص12.

إنّ ما خلّده وصنّعه الدولة الحديثة في الإنسانية هو شبه هوية أو وهم هوية مصطنعة، و ليس لها من أهداف سوى أنّها تريد أن تمارس سلطة وضرب من الرقابة المنتظمة والناجعة على أجساد طيبة مؤهلة للخضوع والاستعمال العمومي للمجتمع بعبارة نقدية عنيفة لفوكو. فالهوية أضحت هوية معنفة مجروحة من فرط الإدعاء و التزييف و حين توظف كوسيلة مجتمع يشكو من اللا-انتماء لتكون "إصلاح هوي" لماضي مجتمع ما ، " فكل هوية هي كوجيطو مجروح .... من قبل سلطة أو طفيليات سياسية في ظلّ حالة اللا-دولة التي تمرّ بها عديد المجتمعات المعاصرة ".<sup>58</sup>

إنّ ما يجب أن ندافع عنه اليوم هو الحرية في الهوية و الهوية بالحرية لأنّه لا وجود لحرية دون هوية و العكس صحيح لأنّ من إحدى معان الهوية الوجود و منه فلا وجود لحرية دون وجود الكائن .

### مهمة الفلسفة هي تقديم هوية إنسانية كونية: أو في الهوية الحقيقية

إنّ أعسر عمل هو عمل الفيلسوف و هنا ليس العسر من ناحية التفكير بل من ناحية الحمل الذي يحمله على عاتقه و الذي تنتظر الإنسانية نتائجه و هو معالجة القضايا التي وقع فيها خلط و تفضيل للأولويات وهو ما يتحتم على الفلسفة اليوم أن تكون "مدعوة إلى ما هو أكثر وجاهة من مواصلة النقد الجذري للعقل- الذات الحديثة بحجة أنه لا يستوفي معنى الهوية و إلى ما هو أكثر راهنية من الانخراط في خطاب أبولوجي عن الهوية بحجة أنها مهددة تاريخيا . إنّ ثمة مهمة موجبة أوكد للفلسفة من أية مهمة سالبة أخرى : إنّها المهمة العلاجية " <sup>59</sup> مهمة تعالج فيها الفلسفة اعتبارات هوية سالفة الفكر و الدهر وهي كيفية الحديث عن أنفسنا حدّ المرض الثقافي فطريقتنا في الكلام حول أنفسنا لا تزال متصلة بتصور الملة لمفهوم الهوية ، لذلك فالمبتغى هنا هو وفق المسكيني هو الاستتارة أي استتارة العقل بمعنى تحرير أفق التفكير في الهوية وذلك برصد المفهوم تاريخيا .

<sup>58</sup> نفسه، ص 13.

<sup>59</sup> فتحي المسكيني ، الهوية و الزمان : تأويلات فينومينولوجية لمسألة "النحن" ، دار الطليعة بيروت ، الطبعة الأولى ،

2001 ، ص 17.

إنّ فالهوية تقال على معان عدة هكذا تكلم أرسطو ذات عصر<sup>60</sup> "تؤخذ الهوية في معان عدة<sup>61</sup>. لكن التعريف المفيد و اليسير هو كونها جملة من الخصائص التي من خلالها يتم التعرف على شيء أو شخص ما بوصفه هو و ليس غيره.<sup>62</sup>"

وعليه فلا يمكن أن توجد هجرة خارج هويتنا؛ نحن نهاجر دوماً داخل أفق هوية ما وكلّ تمرّد تاريخي عليها أو عصيان أخلاقي لها هو الاستتارة بعينها وقد يكون أنبل وأروع تعبير عنها، هكذا تكون الهجرة إلى الإنسانية و الكلية الكونية ومن هنا تكون مهمة الفلسفة الرسمية.

ومن هنا فإنّ " فلسفة الراهن هي أقرب ما تكون إلى ضرب من كانطية الجماهير، تلك التي تفترض أن الحرية هي فرصة الإنسان الأخير، ولكن ليس الإنسان/الأنا، المعزول في بوتقة واجب صوري بلا توقيع متفرد، بل الإنسان/الكثير، اليومي الذي هو أي كان، في حياته اليومية التي هي الوحيدة والأخيرة لنفسه، حين يصبح أي كان برنامجاً إتيقياً أساسياً للإنسانية الحالية، يكون كانط قد نجح في هدينا إلى عصر التنوير"<sup>63</sup>. لأننا لم نتور بعد بل ننشد هذه الإستتارة فنحن في عصر يسير نحو التنوير<sup>64</sup>. العصر الذي يستطيع فيه الانسان ان يعول على ذاته و يتجرأ على استعمال عقله<sup>65</sup>.

في نهاية الأمر ليس القصد سوى نقد العقل الهويي أي التحول في فهمنا للهوية كمقوم أنثروبولوجي ثقافي إلى استشكال فلسفي تكون فيه الهوية مفهوم فلسفي يبحث عن المعالجة و التقييم. وفضل ما قامت به الشعوب العربية مؤخرا هو في " سحب البساط الأخلاقي من تحت كل تفكير هويي ، أكان في السلطة أم كان في المعارضة أم في علمانيا أم دينيا أكان ليبراليا أم ماركسيا أم

<sup>60</sup>فتحي المسكيني ، الهوية و الزمان : تأويلات فينومينولوجية لمسألة "النحن " ، دار الطليعة بيروت ، الطبعة الأولى ، 2001 ، ص 5.

<sup>61</sup>فتحي المسكيني ، أم الزين بنشخة المسكيني ، الثورات العربية - سيرة غير ذاتية ، جداول للنشر و التوزيع ، بيروت ، 2013، ص 17 .

<sup>62</sup>فتحي المسكيني ، الكوجيطو المجروح.. أسئلة الهوية في الفلسفة المعاصرة ، الرباط . المغرب، منشورات صفاف . منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى 2013.التوطنة، ص215 .

<sup>63</sup> فتحي المسكيني ، الفيلسوف والإمبراطورية، في تنوير الإنسان الأخير، الناشر: المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، 2005، ص 10 .

<sup>64</sup> . كانط ، " ما هو عصر التنوير؟"، ترجمة يوسف الصديق، بعنوان " كانط والحداثة" من المجلة التونسية للدراسات الفلسفية عدد 39\38 تونس .2004\2005 ، ص 9 .

<sup>65</sup> .! كانط ، " ما هي الأنوار؟"، ترجمة محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر. الطبعة الأولى 2005 . صفاقس تونس، ص 85 .

قوميا.<sup>66</sup> لأنَّ الحقيقة تبقى متوقفة على مفهوم "الهوية" الذي نعنيه و الحال أنَّ ثمة معانٍ من الهوية لم تعد ممكنة أو صارت بلا مضمون لكنَّ ما يبقى هو انتماء البشر إلى أنفسهم العميقة، فما هو محرج حقا هو السؤال الذي يبقى دائما ينغص سباتنا الهويوي وهو السؤال الهايدغيري العتيد "كيف يجب أن نكون نحن أنفسنا ، و الحال أننا لسنا نحن أنفسنا ؟ وكيف يمكن لنا أن نكون أنفسنا، دون أن نعرف من نكون، حتى نكون على يقين من أننا نحن الذين نكون ؟ " <sup>67</sup>.



<sup>66</sup>فتحي المسكيني ، أم الزين بنشيجة المسكيني ، الثورات العربية - سيرة غير ذاتية ، جداول للنشر و التوزيع ، بيروت ، 2013 ، ص36.

<sup>67</sup>فتحي المسكيني ، الهوية و الزمان : تأويلات فينومينولوجية لمسألة "النحن" ، دار الطليعة بيروت ، الطبعة الأولى ، 2001 ، ص 5.

## المصادر والمراجع

إ.كانط، "ماهي الأنوار؟"، ترجمة محمود بن جماعة، دار محمد علي للنشر. الطبعة الأولى . صفاقس

تونس، 2005

فتحي المسكيني ، الهوية و الحرية نحو أنوار جديدة ، جداول للنشر ، الطبعة الأولى بيروت

لبنان، فبراير 2011 .

فتحي المسكيني ، الفيلسوف والإمبراطورية، في تنوير الإنسان الأخير، الناشر: المركز الثقافي

العربي الدار البيضاء، 2005

فتحي المسكيني ، الكوجيطو المجروح.. أسئلة الهوية في الفلسفة المعاصرة ، الرباط . المغرب،

منشورات ضفاف . منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى 2013.

فتحي المسكيني ، أم الزين بنشيخة المسكيني ، الثورات العربية - سيرة غير ذاتية ، جداول للنشر

و التوزيع ، بيروت ، 2013 .

فتحي المسكيني ، اقتصاد الهوية أو كيف تكون البنى الثقافية علاقات إنتاج جديدة؟ [الحوار](#)

[المتمدن-العدد: 3683 - 30 / 3 / 2012 - 19:09](#)

فتحي المسكيني، الهوية و الزمان : تأويلات فينومينولوجية لمسألة "النحن"، دار الطليعة بيروت،

الطبعة الأولى ، 2001 .

المجلة التونسية للدراسات الفلسفية بعنوان كانط و الحداثة . عدد 39\38 تونس

.2005/2004.

[نور الدين علوش ، الفيلسوف التونسي فتحي المسكيني أنا جزء من الجامعة التونسية، ديوان](#)

[العرب، تاريخ الولوج 11 أبريل 2013 نسخة محفوظة 05 العرب ، الاثين 14 أيار](#)

[\(مايو\) ٢٠١٢ مارس 2016 على موقع واي باك مشين](#)